﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾

[الزمر:٦٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..،

أخي المسلم ... أختي المسلمة ...

حينما نتحدث إلى أحد المسلمين في أمر تحقيق التوحيد فإنه قد يستغرب ذلك الحديث ويتعجب له، ويتساءل أولسنا موحدين؟!

أولسنا نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله؟!

ففيم الحديث عن التوحيد إذًا؟!

والحق أن هناك فرقًا بين الإقرار بالإسلام، والإقرار بالتوحيد على الجملة، وبين الالتزام العملي بالإسلام، والالتزام بالتوحيد تفصيلًا وتطبيقًا.

ومن هنا فإن حديثنا هنا إنما هو عن كيفية تحقيق التوحيد وتطبيقه في حياتنا.

كيف نكون موحدين حقًّا؟!

كيف ننجو من الشرك كله دقه وجله؟

لقد كان النبي ﷺ يحذِّر الشرك على أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم- وكان يخافه عليهم خوفًا شديدًا، ويحذرهم من الوقوع فيه.

فقد روي عنه ﷺ أنه قال: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...".

وقد كان الصحابة والسلف جميعًا -رضوان الله عليهم- يخشون على أنفسهم

الوقوع في الشرك.

ولخطورة أمر الشرك وخفائه ودقته، فإن الله تعالى حذر منه نبيه ﷺ وأوحى إليه في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[١].

وقد بين النبي ﷺ أن أساس العلاقة بين العبد وربه وأساس فلاحه ونجاحه إنما هو تحقيق التوحيد.

فعن معاذ -رضي الله عنه- قال: كنتُ رديف رسول الله ﷺ على حمار، ليس بيني وبينه إلا مُؤخرة الرحل، فقال: "يا معاذ! هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئًا" فقلت: يا رسول الله! أفلا أُبشر به الناس؟ قال: "لا تُبشرهم فيتكلوا""[٢].

في هذا الحديث الجليل يبين النبي ﷺ العلاقة بين العبد وربه سبحانه، وما لله تعالى من حق على عباده وما للعباد من حق على الله إذا عبدوه ووحدوه فضلاً منه سبحانه وكرمًا.

كما يبين أهمية التوحيد وفضله وعظم الأجر والجزاء عليه من الله سبحانه وتعالى.

فبين أن العلاقة بين العبد وربه تقوم على العبودية الحقة لله رب العالمين وعدم الإشراك به. والعبادة هي طاعة الله تعالى وامتثال أوامره في كل شيء سواء ما تعلق منها بالعبادات المحضة: كالصلاة والصيام، أو ما تعلق منها بالمعاملات: كالبيع والشراء والنكاح والطلاق، فحق الله تعالى في كل ذلك أن يطاع أمره ويجتنب نهيه،

---

(١) الزمر:٦٥-٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب "الجهاد"، باب: اسم الفرس والحمار(٢٨٥٦)، ومسلم في "كتاب الإيمان"، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا(٣٠).

كما أن على العبد إذا التزم بالعبادة لله تعالى أن يلتزم بتوحيده سبحانه فلا يشرك به شيئًا بتقديم شيء من العبادة لغيره سبحانه، فالدعاء عبادة لله فلا يجوز أن يدعو العبد غير الله تعالى، وكذلك الاستغاثة والتضرع عبادات لا تجوز إلا لله تعالى، والذبح أو النحر عبادة لا تجوز إلا لله تعالى، فلا يجوز أن يدعو العبد وليًّا من الأولياء من دون الله تعالى، ولا أن يستغيث به أو يتضرع إليه ليجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا، ولا يجوز له أن يقدم له شيئًا من النسك كأن يذبح له أو على اسمه أو يطوف حول بيته، أو يحلق رأسه لأجله على نحو ما يفعل الحجيج في حجهم لبيت الله تعالى.

وكما يبين النبي ﷺ عظم أمر التوحيد وأهميته فإنه يبين عظم فضله وأجره، فقد جعل الله تعالى لمن جاء بالتوحيد حقًّا ألا يعذبه شيئًا، ولعظم هذا الأجر خشي النبي ﷺ إن أخبر بذلك عموم أمته أن يتكلوا على ذلك ويتركوا العمل بطاعة الله تعالى فيكون ذلك سببًا في هلاكهم.

ومما يبين فضل التوحيد وأهميته كذلك هذا الحديث الذي يبين أن تحقيق التوحيد هو سبب نجاة العبد يوم القيامة مهما عظمت ذنوبه.

فعن جابر -رضي الله عنه- قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال:يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[1].

ولكن يبقى مدار الأمر هنا على إجابة هذا السؤال، وهو: كيف نحقق التوحيد؟

فالتوحيد ليس مجرد النطق بكلمة لا إله إلا الله؛ فهذه الكلمة العظيمة لها شروط ثقيلة قد بينها العلماء:

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣).

قال الشيخ حافظ أحمد الحكمي -رحمه الله- عن شروط هذه الكلمة:

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقًّا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما أحبه

فلابد من العلم بمعنى هذه الكلمة واليقين بها وبما تقتضيه، والقبول لأحكامها والانقياد لشرائع الإسلام، والصدق فيها مع الله تعالى والإخلاص والمحبة لله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين.

فتعال أخي الحبيب!

نتعرف على معنى هذه الكلمة العظيمة وما تقتضيه من ترك الشرك كله، وتوحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته على الوجه الأكمل.

❁ فهذه الكلمة (لا إله إلا الله) شقان:

الشق الأول: (لا إله) إبطال للشرك، ونفي لجميع الشركاء مع الله تعالى.

والشق الثاني: (إلا الله) فيه إثبات العبودية والوحدانية لله تعالى وحده.

فتعال نتعرف في هذه الصفحات على معاني هذه الكلمة العظيمة، لعل الله تعالى أن يجعلنا ممن يحققون معناها ويعملون بمقتضاها، آمين آمين.

❁الشرك بالله:

اعلم يا عبدالله أن أكبر الكبائر وأعظمها خطرًا هو الشرك بالله، أعاذنا الله وإياك من قليله وكثيره، ودقه وجله، وذلك أنه يمنع العبد دخول الجنة، ويوجب عليه دخول النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[١].

وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٢].

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[٣].

فاعلم -رحمك الله- أن توحيد الله تعالى هو أول الواجبات على العبد، فإنك إذا ما عرفت الله تعالى بصفاته وأسمائه الحسنى فإن الواجب عليك هو توحيده في ذاته وفي صفاته وأفعاله، بأن تعتقد أن الله تعالى له الوحدانية التامة في ذاته وصفاته وأفعاله، فالله تعالى لا يشبهه أحد في ذاته ولا في أفعاله ولا في شيء من صفاته سبحانه.

فمن توحيده في ذاته سبحانه أن تعتقد أنه سبحانه واحد أحد فرد صمد ليس مركبًا مع غيره كما يعتقد النصارى الضالون، فهم كفار مشركون لاعتقادهم أن عيسى ابن الله أو أنه هو الله، ولجعلهم إياه سبحانه أبًا لعيسى إذ يقولون في تراتيلهم: "بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين" فيجعلون الثلاثة إلهًا واحدًا، وقد حكى القرآن كلامهم وكفرهم به فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[٤]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٥].

وقال أيضا: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ

---

(١) المائدة:٧٢.
(٢) الحج:٣١.
(٣) أخرجه مسلم (٩٣).
(٤) المائدة:٧٣.
(٥) المائدة:٧٢.

ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وشبيه بقولهم أو هو أغلظ منه في الكفر قول من يعتقد أن الله يحل في أحد من خلقه نبي أو ولي أو غير ذلك فكل ذلك عين الشرك والضلال، وكذلك قول من يعتقد أن الرسول محمدًا ﷺ مخلوق من نور الله؛ وذلك لأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد، وليس له صاحبة ولا ولد، سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

أما توحيده في صفاته سبحانه فهو بأن يعتقد أنه سبحانه هو وحده المتصف بما وصف به نفسه لا يشاركه في ذلك أحد في الحقيقة، فالله سبحانه هو الخالق وحده، هو الرازق وحده، هو مالك الملك وحده لا يشاركه في ذلك أحد، وقد يتصف المخلوق ببعض ما وصف الله تعالى به نفسه، ولكن لا يشابهه في صفاته سبحانه أحد من خلقه.

فالله تعالى هو الحي السميع البصير العليم، والمخلوق يوصف بأنه حي سميع بصير عليم.

ولكن صفات الله تعالى لا يشابهه فيها أحد، فليست حياة الله تعالى كحياة المخلوقين، وليس سمعه وبصره كسمعهم وأبصارهم، وليس علمه كعلمهم، فالعبد وإن اتصف بالحياة فحياته ليست دائمة وليست أزلية فهو مخلوق بعد أن لم يكن وهو ميت، والله تعالى حي لا يموت أبدًا، هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، فشتان بين حياة المخلوق وحياة الخالق.

وكذلك سمع العبد وبصره محدود لا يسمع كل شيء ولا يبصر كل شيء، والله سبحانه لا يغيب عنه شيء ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، مطلع على كل شيء لا تخفى عليه خافية.

---

(١) التوبة: ٣٠.

وكذلك قد يتصف بعض الناس بالعلم وأنه عالم ولكنه لا يعلم كل شيء، بل يعلم القليل ويخفى عليه الكثير، وما علم الناس جميعًا في علم الله إلا كما أخذ طائر من البحر بمنقاره.

وقد يدعي بعض الناس كالكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين وغيرهم أنه يعلم الغيب ولكن المؤمن يعتقد أنه لا يعلم الغيب حقيقة إلا الله تعالى.

فالله سبحانه هو: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1].

فإذا اعتقدت أن الله تعالى هو الفاعل وحده، وأنه سبحانه هو النافع والضار وحده، وأنه سبحانه الرازق وحده والشافي وحده لا شفاء إلا شفاؤه، وأنه هو سبحانه مدبر الأمر وحده، لا يملك أحد معه من الأمر شيئًا ـ إذا اعتقدت ذلك فقد وجب عليك ألا تأتي ساحرًا تعتقد أن بيده نفعًا لك أو ضرًّا لأحد من خلق الله تعالى، بل لابد أن تعتقد أن الساحر لا يؤثر في الشيء بنفسه ولا بسحره ولا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، وقد قال الله تعالى في كتابه عن السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[2].

فاعلم يا عبدالله، أن الذهاب إلى السحرة من أكبر الكبائر، هذا لمن يعلم أن الساحر لا يملك شيئًا وأنه لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، فمن اعتقد أن السحر مؤثر بنفسه، وأن الساحر قادر بنفسه على فعل ما يريد بغير إذن الله ـ فقد كفر وأشرك بالله العظيم كفرًا أكبر يخرجه من ملة الإسلام؛ لأنه قد نسب بعض صفات الله تعالى لغير الله.

فإذا علم العبد ذلك وجب عليه ألا يصدق كاهنًا أو عرافًا ممن يضرب الحصى أو ينظر في النجوم أو غير ذلك ممن يدعون علم الغيب، وليعلم أن الغيب لا يعلمه

---

(١) الجن: ٢٦-٢٧.
(٢) البقرة: ١٠٢.

إلا الله.

* وجوب توحيده في عبادته سبحانه:

إذا علم العبد أن الله تعالى هو الخالق وحده، وهو مدبر الأمر وحده، وهو الرازق وحده، فليعلم أنه يجب عليه أن يعبده وحده، وألا يشرك به في عبادته شيئًا، وهذا هو توحيد العبادة وهو التوحيد الحق الفاصل بين الموحدين والمشركين، فإن المشركين في زمان النبي ﷺ كانوا يقرون لله تعالى بوحدانيته في صفاته، ولكن كانوا يشركون في عبادته، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾[١].

وقال أيضا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٢].

وكانوا يقولون في سبب عبادتهم للأصنام التي هي تماثيل وصور للأولياء والصالحين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾[٣]. أي قربى وواسطة.

فكَفَّرَهُم الله بذلك، وحكم على قولهم بأنه كفر وكذب وضلال فقال: ﴿إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٤].

فالمشركون كانوا مقرين بأن الله تعالى هو الخالق والرازق ومدبر الأمر ومالكه وحده، ومع ذلك كانوا يدعون الأولياء والصالحين متوجهين إلى صورهم وتماثيلهم، ليقربوهم إلى الله وليستشفعوا بهم عند الله في قضاء حوائجهم، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ الله بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

---

(١) الزخرف:٩.
(٢) الزخرف:٨٧.
(٣) الزمر:٣.
(٤) الزمر:٣.

يُشْرِكُونَ﴾[1].

والعبادة تشمل جميع ما شرعه الله تعالى لعباده ليتقربوا به إليه من الدعاء والذكر والاستغفار والصلاة والصيام والزكاة والحج والطواف والنذر وتلاوة القرآن.. إلى آخر ما شرعه الله تعالى لعباده، فكل ذلك وغيره من العبادات التي لا يجوز أن يصرفها العبد لغير الله تعالى.

❁❁❁

(١) يونس:١٨.